الوازع الديني والتفسخ الأخلاقي، والانحلال الاجتماعي، والناس على دين إعلامهم. وقد قيل: أعطني شاشة أغيّر بها شعبًا، فهل مثل هذا الإعلام الذي يدور حول فيلم أو مسرحية، أو مسلسل، أو فوازير وقد سرت السموم الناقعات في خلاياه، هل مثل هذا يبني النفوس القوية المتصفة بالصدق المتحلية بالأمانة؟ لقد استطاع الإعلام أن يُنسيَ الناس أن شهر رمضان شهر القرآن والصيام والبر والنصر والقدر والقيام وبدر، وهكذا كانت الأسئلة وهكذا أجبت.

وكان الإيمان دائمًا يضع نصب عيوننا ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

لقد منعوا هذا الصوت أن يهدر على المنابر ولكنهم لم يمنعوه أن يموت كما يريد.. كان يسأل ربه أن يموت في سجوده.. ومات الشيخ يوم الجمعة وهو يصلي قبل الجمعة.. مات في سجوده وبقي اسمه يترحم الملايين عليه إذا ذكروه وهم يلعنون الظالمين وبقي الإسلام.

فكم زالت رياضٌ من رُباها ... وكم بادت نخيل في البوادي
ولكن نخلة الإسلام تنمو ... على مرّ العواصف والعوادي
ومجدك في حمى الإسلام باق ... بقاء الشمس والسبع الشداد

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

إمام العصر وسيد علمائه الشيخ عبدالعزيز بن باز

مناقب الإمام الشيخ ابن باز لا تُحصى من صدع بالحق ونشر للعلم ودعوة للتوحيد والسنة وتحذير من البدع والمحدثات وزهد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإطعام للطعام وتهجد وعبادة كان له فيها قصب السبق..

وأجمع على محبته القاصي والداني.

*** خطاب وكتاب:**

في العام ١٣٩٣هـ. استقبلت الجامعة الإسلامية رئيسها الأعلى المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز أثناء زيارته الثانية لها، وفي المظلة الكبرى أمام المباني الإدارية، وقف الشيخ يحييه بكلمة ضافية، جامعة، أوجز فيها تاريخ الجامعة منذ نشأتها حتى يومها ذاك، وعرض لأطوارها المختلفة، وجنسيات طلابها، وعدد خريجيها، ومصايرهم بعد التخرج، حيث انطلقوا يحققون رسالتها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي... فأبرز بذلك أهمية هذه المؤسسة وآثارها البعيدة في تركيز معاني الإسلام، والوقوف بوجه الزحوف المعادية له من الشرق والغرب... ثم عرج من هناك على واجب حكام المسلمين نحو الإسلام في حمايته وتنفيذ شريعته.

وما أروع تلك اللفتة المباركة التي ركز عليها الشيخ عندما عرض لأهمية الإعلام الحديث في تبليغ الدعوة وإبراز محاسنها للسامعين والناظرين والقارئين، وراح يذكر الملوك والأمراء الذين معه بمسئوليتهم الضخمة في هذا الصدد، ولم يكتمهم ملاحظاته الصريحة حول واجب صون الإعلام السعودي من الانجراف في المزالق التي سبق إليها الآخرون، الذين لا يستشعرون أي مسئولية نحو الإسلام.

كان الشيخ يتدفق بهذه المعاني في حرارة توحي إلى السامعين أن يؤدي أمانة ويبرئ ذمة، وكأنما انتصب في ضميره مشهد الحشر حيث يسأل كل إنسان عما عمل، وتكون مسئولية العلماء أضخم المسئوليات... ولقد كان لأسلوب الشيخ ساعتئذ أروع الأثر في القلوب، إذ سلك إلى غرضه أحكم المسالك فجمع بين اللطف والقوة، وقدم مواعظه ونصائحه ملفوفة بظروف من نور.

وكنت ألاحظ وجه الملك الراحل ـ غفر اللَّه له ـ وهو يصغي بانتباه عميق إلى كلمات الشيخ، فألمح عليه انطباعات الرضى والقبول. ولا غرابة في ذلك فقد كان الملك فيصل ـ فيما نعلم ـ على يقين من فضائل الشيخ وعظيم إخلاصه للحق. وكان الملك كبير التقدير لكل نصيحة مخلصة، رحمه اللَّه.

تلك هي ذكرياتي عن الخطاب... أما الكتاب فله ذكرى أخرى.

وكان ذلك يوم قرئ على الشيخ في إحدى الصحف نبأ حدث أهمه كثيراً، إذ خشي أن يجرّ وراءه ما لا تحمد عقباه.

وعلى دأبه في الشورى عرض الموضوع على مجلس الجامعة فلم يخرج عن توقعاته. واستقر الرأي على أن يرفع إلى المقامات العليا ما ينبغي تذكيرهم به. في مثل هذه الحال.

وفي اجتماع تالٍ أطلع الشيخ المجلس على النص الذي أعده. وكان على جانب من الصراحة كبير، إذ أوضح فيه الشيخ كل الذيول التي يتصورها، وذكر أولي الأمر بموقعهم من عالم الإسلام، ومسئوليتهم نحوه.

وحقًّا لقد أدهشتني تلك الصراحة فلم أتمالك أن قلت: «الحمد للَّه الذي حفظ للإسلام من يقول مثل هذا الكلام».

وما هي سوى أيام حتى وردت الردود من الجهات العليا، وقد كان كل منها قطعة نفيسة من أدب مؤمني الحكام في مخاطبة الأعلام من علماء الإسلام[1].

*** واجب العلماء:**

❑ يقول الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي عن مسئولية أهل العلم بإزاء هذا الجيل: «إذا وُجد جماعة من العلماء المخلصين المستعدين

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب.

لحمل ما عسى أن يصيبهم من الأذى كالضرب والسجن والنفي زيادة على السبّ والشتم وعداوة الناس، وقد لا يصيبهم شيء من ذلك، فإنهم يستطيعون أن يجذبوا كثيرًا من الناس إلى الإسلام الصحيح، ولا تستطيع الدعوات المعادية للإسلام أن تقف في طريقهم، ولا أن تعوق تقدمهم إلى بلوغ غايتهم المنشودة»[1].

*** الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر ورفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق:**

كم كانت للشيخ الجليل جاد الحق شيخ الأزهر من أيادٍ بيضاء ومواقف جليلة في الذّب عن الإسلام وشريعته، ومن هذه المواقف رده على رفعت المحجوب وهو منشور في أخبار اليوم ١٩٨٥/٢/٢٣م في الصفحة السابعة... تنقل منه ما نصّه بالحرف الواحد للذكرى والذكرى تنفع المؤمنين:

«إن لجان مجلس الشعب ظلت نحو خمس سنوات تعمل في جميع الفروع القانونية لتقدّم تشريعًا إسلاميًّا مأخوذًا من فقه المذاهب الإسلامية ميسرة أحكامه للجميع مع ملاحظة ظروف العصر وتغيراته وانتهت هذه اللجان من إعداد هذه المشروعات وقدّمتها لمجلس الشعب».

وقال فضيلته: «لا ينبغي أن تُحجب هذه المشروعات بوصف أنها لم تُقدّم للمجلس بالطرق المنصوص عليها في الدستور فإن هذا الطريق يملكه كل أعضاء مجلس الشعب... وإذا كنا نتقدم بمشروعات القوانين العادية وبتعديلاتها ونسرع في إنفاذها وتقريرها من يوم صدورها فمن باب أولى أن نسارع أو أن يتقدم نوّابنا أو بعضهم باسمه بهذه المشروعات لتأخذ الصفة الدستورية، وإن كان الدستور لا يقف أمام الشريعة... إن مجلس الشعب

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب (١/ ٢٢٧) ـ دار الاعتصام.